
رواية
22
بقلم
بشار رشاد الزبير

رواية

22

بقلم

بشار رشاد الزبير

١

يزن

كانت ليلة ممطرة إلى حدٍّ جعل شوارع المدينة تبدو وكأنها تغرق في بحر من الظلام. الرياح تصفر بين المباني القديمة، وقطرات المطر تضرب النوافذ بعنف، بينما كانت أضواء الشوارع الباهتة تنعكس على الأرصفة المبللة.

في إحدى الشقق المتواضعة الواقعة في نهاية شارع قذر، جلس شاب في العشرينيات من عمره أمام طاولة خشبية صغيرة، يحدق في علبة دواء موضوعة أمامه.

كان اسمه يزن.

لم يكن في ملامحه ما يوحي بأنه يستعد لفعل شيء استثنائي، بل بدا شاباً عادياً أنهكته الحياة حتى لم يعد يجد فيها ما يستحق المقاومة.

منذ أيام وهو يفكر في إنهاء حياته. قضى ساعات طويلة يبحث عن مخرج من ذلك الجحيم الذي وجد نفسه فيه، حتى استقر به الأمر على فكرة تناول كمية مفرطة من الدواء الذي اشتراه قبل ساعات من صيدلية تقع في نهاية الشارع.

مد يده نحو العلبة، ثم توقف فجأة، وأخذ يتأملها كما لو أنها كائن حي يجلس أمامه.

تنهد وقال بسخرية مريرة مخاطباً علبة الدواء:

ـ ما بك؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟ هل تشفق عليّ أنت أيضاً؟

ظل يحدق فيها لحظات، ثم بدأ يتحدث بصوت خافت:

ـ وماذا عساي أن أفعل؟ هل لديك اقتراح أفضل؟ لا عائلة، لا مال، لا عمل، ولا أصدقاء... حتى صاحب المنزل لم يعد يحتمل رؤيتي. أعطاني مهلة يومين لأغادر، وكأنني كنت أحتاج إلى مزيد من المصائب!

ابتسم ابتسامة باهتة، ثم أضاف:

ـ لقد خسرت وظيفتي، وخسرت أصدقائي، وأصبحت عاجزاً حتى عن دفع إيجار غرفة صغيرة. والأسوأ من ذلك أنني لم أعد ذلك الشخص الذي كنت عليه. أهملت صلاتي وعبادتي، وابتعدت عن كل شيء كان يمنحني شيئاً من الطمأنينة.

أطرق برأسه قليلاً.

ـ حسناً... أخبرني أيها الدواء، هل بقي لديك سبب واحد تقنعني به كي أواصل هذه الحياة؟

لم يجبه أحد.

ضحك ضحكة قصيرة خالية من الفرح.

ـ هكذا توقعت. حتى أنت لا تملك إجابة.

مد يده إلى الدواء مرة أخرى، لكن صوت طرقات خفيفة على الباب قطع عليه أفكاره.

التفت نحو الباب.

ـ من هذا؟

لم يأته جواب.

عاد الصوت مجدداً.

ثلاث طرقات متتابعة.

نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط.

كانت تقترب من منتصف الليل.

ـ عجباً! من الذي يطرق الأبواب في مثل هذا الوقت، وفي هذا الطقس تحديداً؟

تجاهل الأمر وعاد إلى مكانه.

لكن الطرقات تكررت، هذه المرة بقوة أكبر.

أطلق زفرة غاضبة.

ـ تباً لك! ألم تستطع الانتظار حتى أنهي حياتي؟!

ثم تمتم:

ـ لا بد أنه صاحب المنزل. جاء ليخبرني بأنه لم يعد يرغب في الانتظار حتى نهاية المهلة. ربما قرر أن يطردني الليلة، حتى لا أزعج جدته صاحبة المئة عام التي ربما ستصل غداً، ولا يجد لها غرفة في منزله!

هز رأسه ساخطاً.

ـ حسناً، تعال أيها الوغد، سأفرغ فيك كل غضبي، ثم أذهب إلى الجحيم بسلام!

نهض متجهاً إلى الباب، وفتحه بعنف.

ـ ماذا تريد...؟

توقف.

لم يكن أمامه أحد.

نظر يميناً ويساراً، ثم أخرج رأسه إلى الممر المظلم.

فارغ تماماً.

كاد يغلق الباب، لكنه لمح شيئاً ملقى عند قدميه.

انحنى والتقط ورقة صغيرة مطوية بعناية.

ـ ما هذا الآن؟

أغلق الباب وعاد إلى الطاولة، ثم جلس وفتح الورقة.

كانت مكتوبة بخط غريب، وجاء فيها:

«أيها البائس... غداً فرصتك لتغيير حياتك البائسة...

غداً، في تمام الساعة السادسة صباحاً، كن في شارع 22...

(ملاحظة)

ضع بطاقتك أمام صدرك، فهي دليلك على قبول الدعوة».

تحت الرسالة كانت هناك بطاقة سوداء صغيرة، تتوسطها كتابة فضية:

يزن

المتسابق رقم 22

ظل يزن يحدق في البطاقة.

قلبها على وجهها الآخر، ثم أعادها إلى الأمام.

ـ المتسابق؟!

أطلق ضحكة ساخرة.

ـ يا له من هراء! أهذه مسابقة أم إعلان عن برنامج تلفزيوني؟ ومن هذا الذي يتحدث عن حياتي البائسة؟

أعاد قراءة الرسالة.

لم يكن هناك اسم للمرسل، ولا عنوان، ولا أي معلومة أخرى.

ـ لكن كيف عرف اسمي؟ وكيف عرف أنني بائس؟!

بدأت الأسئلة تتزاحم في رأسه.

نظر نحو علبة الدواء، ثم عاد ببصره إلى البطاقة.

كان يستطيع أن يتجاهل الأمر، وأن يعود إلى ما كان ينوي فعله قبل دقائق.

لكنه شعر بشيء غريب.

فضول لم يعرفه منذ زمن.

أمسك البطاقة بين أصابعه، وتأمل الرقم المكتوب عليها.

ثم قال لنفسه:

ـ لماذا لا أنتظر حتى الصباح؟ لن أخسر شيئاً إن ذهبت وألقيت نظرة. ربما تكون مزحة، وربما يكون الأمر أكثر سخافة مما أتخيل.

وضع البطاقة بجانب علبة الدواء، ثم استلقى على سريره.

ظل يتقلب طويلاً قبل أن يغفو...

٢

رنا

رن الهاتف في أرجاء المنزل.

كان الجو ماطراً للغاية، والظلام يسود الخارج.

كانت رنا تجلس على أريكة قديمة في غرفة المعيشة، تحاول ترتيب بعض الأوراق المتناثرة فوق الطاولة.

بالكاد سمعت الرنين بسبب قوة الأمطار.

التقطت الهاتف وأجابت:

ـ ألو، نعم؟

جاءها صوت رجل بدا عليه نفاد الصبر:

ـ هل أتحدث إلى السيدة رنا فؤاد؟

ـ نعم، أنا رنا. من المتحدث؟

ـ أتصل بك من قسم التحصيل في البنك بخصوص القرض المستحق عليك. نود تذكيرك بأن المهلة الأخيرة للسداد تنتهي غداً.

توقفت يدها عن ترتيب الأوراق.

ـ غداً؟!

ـ نعم، غداً. وفي حال عدم تسديد المبلغ كاملاً، ستبدأ إجراءات مصادرة العقار المرهون لصالح البنك.

شعرت رنا بانقباض في صدرها.

ـ لكنني أخبرتكم سابقاً أنني أواجه ظروفاً صعبة. هل يمكنكم منحي أسبوعاً إضافياً فقط؟ أسبوعاً واحداً، أرجوكم.

ـ سيدتي، نحن لا نتحدث عن أسبوع أو شهر. لقد انتهت المهلة الممنوحة لك بالفعل.

ـ لكن المبلغ كبير جداً! من أين يمكنني الحصول عليه في يوم واحد؟!

جاءها الرد بارداً:

ـ هذه ليست مسؤوليتنا. أمامك خياران: تسديد القرض أو إخلاء المنزل.

ـ أرجوكم، المنزل هو كل ما أملكه! لقد رهنته من أجل علاج أمي، ولم يكن أمامي خيار آخر!

ـ أفهم ذلك، لكن الإجراءات لا تتغير بسبب الظروف الشخصية.

ـ ألا يوجد أي شخص يمكنني التحدث إليه؟ مدير الفرع مثلاً؟

ـ سيدتي، لقد أخبرتك بكل ما لدي. نتمنى لك التوفيق.

ثم انقطع الاتصال.

ظلت رنا ممسكة بالهاتف، تحدق في شاشته وكأنها تنتظر أن يعود الصوت من جديد ليخبرها بأن الأمر كله مجرد سوء تفاهم.

لكن الشاشة انطفأت.

وضعت الهاتف ببطء، ثم أغمضت عينيها.

لم تتمالك نفسها.

انفجرت بالبكاء.

ـ لماذا يا أمي؟ لماذا تركتِني وحدي؟!

غطت وجهها بكفيها.

ـ لو كنتِ هنا الآن... لو كنتِ هنا فقط، لما شعرت بكل هذا الخوف.

كان ذلك المنزل آخر ما تبقى لها من والدتها، بينما كان والدها قد توفي منذ وقت طويل.

منذ مرض أمها، لم تتردد رنا لحظة في الاقتراض من البنك لتوفير تكاليف العلاج. وضعت المنزل رهناً، وظنت أنها ستتمكن من سداد الدين مع مرور الوقت.

لكن الأمور لم تسر كما خططت.

تدهورت صحة والدتها حتى فارقت الحياة، وبقي القرض يطاردها، بينما أخذت حياتها تتداعى شيئاً فشيئاً.

حاولت الاتصال ببعض صديقاتها ومعارفها، وطلبت المساعدة من كل شخص خطر ببالها، لكنها لم تجمع إلا مبلغاً ضئيلاً لا يكاد يمثل جزءاً من الدين.

والآن، لم يعد أمامها سوى ساعات قليلة قبل أن تخسر المنزل الذي عاشت فيه أجمل ذكرياتها.

نهضت واتجهت نحو النافذة.

كانت الأمطار تتساقط بغزارة.

حدقت في الشارع الخالي، ثم همست:

ـ حتى المطر يبدو حزيناً الليلة...

وفجأة!

تحطمت إحدى زجاجات النافذة بصوت مدوٍّ.

انتفضت رنا وتراجعت إلى الخلف.

ـ ماذا يحدث؟!

نظرت نحو النافذة المكسورة، فرأت صندوقًا صغيرًا ملقى على الأرض بالقرب من الستارة.

اقتربت بحذر، وأخذت تنظر إلى الخارج.

ـ من هناك؟! من فعل هذا؟!

لم يجبها أحد.

ـ أيها المزعجون! ألا يكفيني ما أنا فيه؟!

انحنت والتقطت الصندوق. كان صغيرًا، أسود اللون، ولا يحمل أي علامة تدل على صاحبه.

فتحته.

وجدت بداخله ورقة مطوية وبطاقة سوداء.

أخرجت الورقة وبدأت تقرأ:

«أيها البائس... غدًا فرصتك لتغيير حياتك البائسة...

غدًا في تمام الساعة السادسة صباحًا، كن في شارع 22...

(ملاحظة)

ضع بطاقتك أمام صدرك، فهي دليلك على قبول الدعوة».

تجمدت عيناها عند السطور الأخيرة.

قلبت البطاقة ورأت مكتوبًا عليها:

رنا

المتسابقة رقم 21

ـ رنا؟!

جلست على الأريكة، وراحت تقلب البطاقة بين أصابعها.

ـ من الذي يعرف اسمي؟ وما هذه المسابقة أصلًا؟

عادت إلى قراءة الرسالة.

لم تستطع فهم شيء.

لكنها حين رفعت عينيها نحو المنزل، وقعت نظرتها على صورة والدتها المعلقة على الجدار.

ابتلعت غصتها.

ـ لم يعد لدي شيء أخسره على أي حال...

ظلت صامتة لحظات، ثم قالت بحزم:

ـ سأذهب. أريد أن أعرف من هؤلاء، وماذا يريدون.

وضعت البطاقة على الطاولة، ثم نهضت وحاولت تغطية النافذة المكسورة ببعض القماش.

قبل أن تذهب إلى غرفتها، ضبطت المنبه على الخامسة فجرًا.

وقد بيّتت النية على الذهاب إلى شارع ٢٢ لمعرفة حقيقة الرسالة...

٣

كرم

ـ زدني كأساً آخر!

رفع الرجل الجالس عند نهاية الحانة يده في وجه الساقي، بينما كانت عيناه الحمراوان تتفحصان محتويات الكأس الفارغ أمامه.

قال الساقي بضجر:

ـ كفى يا رجل! لقد شربت ما يكفيك.

ـ وما شأنك أنت؟ هل جئت إلى هنا لأسمع نصائحك؟

ـ بل جئت لتشرب دون أن تدفع!

رفع الرجل رأسه ببطء.

ـ ماذا قلت؟

ـ قلت إنك لم تدفع حسابك منذ ساعتين. نحن لسنا جمعية خيرية.

ضحك الرجل، ثم أشار إلى نفسه بإصبع مرتعش.

ـ هل تعرف من أنا؟

تنهد الساقي.

ـ لا، ولا أريد أن أعرف.

ـ أنا كرم خليل! هل سمعت بهذا الاسم؟!

تبادل بعض الجالسين النظرات، ثم أطلق أحدهم ضحكة مكتومة.

تابع كرم، وقد أخذ صوته يرتفع:

ـ أنا أغنى شاب في هذه المدينة! كان أبي يمتلك نصف هذه المدينة، وكانت السيارات تصطف أمام منزلي، وكان الناس يتمنون مجرد مصافحتي!

اقترب الساقي منه، وتأمله من رأسه إلى قدميه.

كان يرتدي قميصاً متسخاً، وقد فقد حذاؤه أحد رباطيه، بينما بدت ملامحه مرهقة رغم وسامته الواضحة.

قال الساقي ساخراً:

ـ أجل، أجل... أتذكر ذلك جيداً. لكن يبدو أن النصف الآخر من المدينة قد ابتلع أموالك أيضاً!

ضحك بعض الجالسين.

تغير وجه كرم.

ـ احترم نفسك!

ـ احترم نفسك أنت أولاً، وادفع حسابك.

أشار الساقي إلى ثلاثة رجال ضخام كانوا يقفون بالقرب من المدخل.

ـ أخرجوه من هنا.

نهض الرجال وتوجهوا نحوه.

رفع كرم يده محذراً:

ـ إياكم أن تلمسوني!

أمسكه أحدهم من ذراعه.

حاول كرم الإفلات منه ودفعه بعيداً، ثم وجه لكمة إلى وجهه.

لكن الرجل لم يتراجع إلا خطوة واحدة.

وفي اللحظة التالية، انهالت عليه الضربات من الجهات الثلاث.

حاول الدفاع عن نفسه، لكنه لم يكن في حالة تسمح له بمقاومة رجال يفوقونه حجمًا وقوة.

وبعد دقائق، سحبوه نحو الباب وألقوه خارج الحانة.

ارتطم جسده بالأرض المبللة.

أغلق الساقي الباب، ثم فتح النافذة الصغيرة المطلة على الشارع وصاح:

ـ وعندما تستيقظ من نومك، تذكر أن تحضر المال معك!

ثم أغلقها.

بقي كرم ملقى على الرصيف، والمطر يتساقط فوق وجهه.

فتح عينيه بصعوبة، ومسح الدم عن زاوية فمه.

ـ أوغاد...

حاول النهوض، لكنه لم يستطع.

نظر إلى السماء الملبدة بالغيوم.

ـ انظروا إلى هذا... حتى السماء تشاركني البكاء!

ضحك فجأة، ثم تحول ضحكه إلى سعال مؤلم.

كان كرم يومًا ما وريث عائلة ثرية، يمتلك السيارات الفاخرة والعقارات والحسابات البنكية الضخمة. لكنه بعد وفاة والده، انطلق في حياة من اللهو والبذخ، معتقدًا أن المال لا ينفد.

حفلات لا تنتهي، سهرات باهظة، خمر، سفر، وأصدقاء لم يكونوا يحبونه بقدر ما يحبون أمواله.

حتى جاء اليوم الذي اكتشف فيه أنه أنفق كل شيء.

باع سيارته الأولى، ثم الثانية، ثم مجوهراته وساعته الفاخرة، حتى لم يبقَ لديه سوى الملابس التي يرتديها.

والآن، لم يعد يجد مكانًا يرحب به سوى حانة رخيصة لا تسمح له حتى بشرب كأس دون دفع ثمنه.

وبينما كان يحاول التقاط أنفاسه، سقطت ورقة صغيرة على وجهه.

أبعدها بيده، ثم أمسك بها.

ـ ما هذا الآن؟

رفع رأسه ونظر حوله.

لم يرَ أحدًا.

فتح الورقة بصعوبة وقرأ:

«أيها البائس... غدًا فرصتك لتغيير حياتك البائسة...

غدًا، في تمام الساعة السادسة صباحًا، كن في شارع 22...

(ملاحظة)

ضع بطاقتك أمام صدرك، فهي دليلك على قبول الدعوة».

وداخل ورقة الرسالة كانت بطاقة سوداء، مكتوب عليها:

كرم

المتسابق رقم 1

حدق في اسمه طويلًا.

ـ من أين عرف هذا الشخص اسمي؟!

ثم أطلق ضحكة ساخرة.

ـ حياتي البائسة؟! يبدو أن هذا الرجل يعرفني جيدًا!

قلب البطاقة بين أصابعه.

ـ مسابقة... وجائزة... تغيير الحياة؟

حاول النهوض مستندًا إلى الجدار، لكنه شعر بدوار شديد.

ـ حسنًا... سأذهب. أريد على الأقل أن أعرف من هذا المجنون الذي يعبث معي.

خطا خطوة، ثم اختل توازنه وسقط مجددًا.

تمتم بكلمات غير مفهومة، قبل أن يستسلم للتعب ويغرق في نوم ثقيل تحت المطر.

٤

طارق

رغم الأمطار الغزيرة في تلك الليلة

كان أحد المنازل هادئًا على نحو مؤلم.

جلس رجل ضخم الجثة، عريض الكتفين، أمام طاولة صغيرة، يحمل بين يديه صورة قديمة.

كانت الصورة تجمعه بامرأة جميلة وطفلة صغيرة تقف بينهما، بينما تعلو وجوههم ابتسامات عفوية.

مرر إبهامه على وجه الطفلة في الصورة.

كانت ابنته.

ثم انتقل بإصبعه إلى وجه المرأة.

زوجته.

ظل يتأملهما طويلًا.

لم يكن في الغرفة سوى صوت المطر الذي يضرب زجاج النافذة، وأنفاس الرجل المتقطعة.

انسابت دمعة على خده.

ثم أخرى.

همس:

ـ سامحاني...

أغمض عينيه، وضغط الصورة إلى صدره.

ـ أقسم أنني لم أكن أريد أن يحدث هذا. أقسم أنني حاولت حمايتكما...

وضع الصورة على الطاولة ونهض.

اتجه نحو خزانة خشبية قديمة في زاوية الغرفة، وفتحها.

كانت هناك ملابس مدنية وبعض الأغراض القديمة، وفي الأسفل زي عسكري محفوظ بعناية.

أخرجه.

كان زيًا رسميًا يحمل شارات رتبته، وبجانبه بطاقة هوية عسكرية.

أمسك البطاقة.

الاسم: طارق جبر.

الرتبة: لواء.

تأملها بصمت.

كان طارق ضابطاً رفيع المستوى في جهاز الشرطة، قضى سنوات طويلة في خدمة القانون. عُرف بصرامته وذكائه وقدرته على الوصول إلى الحقائق التي يعجز الآخرون عن اكتشافها.

لكن إحدى القضايا قلبت حياته رأساً على عقب.

بدأ التحقيق في جريمة قتل بدت عادية في ظاهرها، ثم قادته الأدلة إلى شبكة واسعة من الفساد والجرائم، كان يقف خلفها رجال يتمتعون بنفوذ سياسي كبير.

وحين اقترب من كشف الحقيقة، تلقى تحذيرات متكررة.

طلبوا منه إغلاق الملف.

لكنه رفض.

ثم عُزل من منصبه، وشُوّهت سمعته، وأصبح مطارداً.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك.

ففي إحدى الليالي، كان طارق في أحد أحياء المدينة يواصل تحقيقه في الجريمة رغم عزله، وفي تلك الأثناء اقتحم مسلحون منزله.

وعندما عاد، لم يجد زوجته وابنته.

كانتا قد فارقتا الحياة.

منذ ذلك اليوم، لم يعد طارق الرجل نفسه.

عاد إلى الحاضر، ونظر إلى زيه العسكري.

قال بصوت خشن:

ـ خدمتكم ثلاثين عاماً... وفي النهاية لم أجد من يحمي عائلتي منكم.

أخرج علبة كبريت من جيبه، واتجه إلى فناء المنزل.

وضع الزي العسكري فوق مجموعة من الأخشاب القديمة، ثم أشعل عود كبريت وألقاه فوقه.

اشتعلت النيران ببطء.

وقف يراقب شارات الرتبة وهي تتلاشى بين اللهب.

ـ تباً لهذه الدولة... وتباً لكل من ظن أن منصبه يجعله فوق القانون.

ظل واقفاً حتى بدأت النار تخمد.

وفجأة، هبط طائر أسود على حافة الجدار القريب.

التفت إليه طارق.

كان الطائر يحمل شيئاً صغيراً في منقاره.

أسقطه بالقرب من قدميه، ثم طار مبتعداً.

انحنى طارق والتقط الورقة.

فتحها.

قرأ الرسالة نفسها.

«أيها البائس... غداً فرصتك لتغيير حياتك البائسة...

غداً في تمام الساعة السادسة صباحاً، كن في شارع 22...

(ملاحظة)

ضع بطاقتك أمام صدرك، فهي دليلك على قبول الدعوة».

وتحتها بطاقة سوداء مكتوب عليها

طارق

المتسابق رقم 11

ضيّق عينيه.

ـ ما هذا؟

قلب الورقة، وبحث عن أي علامة تدل على مصدرها.

لم يجد شيئاً.

رفع رأسه نحو السماء، لكن الطائر كان قد اختفى.

عاد ينظر إلى البطاقة.

ـ شارع 22...

وضعها في جيبه، ثم التفت نحو الصورة الموضوعة على الطاولة من خلف النافذة.

قال بصوت خافت:

ـ إن هذا الأمر يبدو مريباً فعلاً.

طائر يوصل رسالة...

ولماذا لي بالذات؟

حقاً، إنه أمر يستحق الذهاب...

٥

لارا

كانت الموسيقى تعلو في أرجاء المكان، والأضواء تتراقص فوق الوجوه المبتسمة.

كان المطر يتساقط بقوة، لكنه لم يفسد أجواء الاحتفال. فقد كانت الظلال تغطي ذلك الشارع...

بل على العكس، بدا المشهد وكأنه لوحة رُسمت بعناية؛ شارع جانبي أُغلق أمام السيارات، وزُيّن بالمصابيح والورود، واصطف الضيوف على جانبيه في انتظار خروج العروس.

كان ذلك يوم زفاف لارا.

جميلة جميلات الحي.

خرجت من منزلها مرتدية فستاناً أبيض أنيقاً، تتقدمها ابتسامة واسعة، بينما كان والدها يقف عند الباب منتظراً إياها.

اقترب منها وقبّل رأسها.

ـ أخيراً جاء اليوم الذي كنت أنتظره.

ضحكت لارا.

ـ أبي، لا تقل ذلك وكأنك تريد التخلص مني!

ابتسم والدها، ثم قال:

ـ بل أخشى أن يأخذك هذا الشاب بعيداً عني، ولا أراك إلا في الأعياد!

تدخّل شقيقها الواقف إلى جوارهما:

ـ لا تقلق يا أبي، سأحرص على أن يزورنا كل يوم!

ضحكت لارا.

ـ أنتما الاثنان لن تتركا لي فرصة للاستمتاع بزفافي!

كان العريس، كريم، ينتظرها في نهاية الممر.

وحين رآها، اتسعت ابتسامته.

اقتربت منه وسط تصفيق الحاضرين.

قال لها:

ـ تبدين أجمل مما تخيلت.

ـ وأنت تبدو متوتراً أكثر مما توقعت!

ضحك.

ـ إنه يوم زفافي، هل تريدينني أن أبدو كأنني ذاهب إلى العمل؟

ضحكت لارا، ومدت يدها إليه.

ـ إنه يومنا يا كريم...

لكن الفرحة لم تستمر طويلاً.

دوى صوت طلقة نارية.

توقفت الموسيقى.

تجمدت الابتسامات.

وسقط كريم أرضاً أمام عينيها.

ورصاصة اخترقت جبينه...

لم تستوعب ما حدث في اللحظة الأولى.

حدقت فيه، ثم نظرت إلى الدم الذي بدأ ينتشر على ملابسه.

ـ كريم...؟

لم يجب.

ـ كريم؟!

ثم انطلقت سلسلة من الطلقات.

تحول المكان في ثوانٍ إلى فوضى عارمة.

صرخ الضيوف، واندفعوا في كل اتجاه، بينما راحت الرصاصات تمزق الأضواء والديكورات، وتحطم الزجاج.

سقط بعض الحاضرين أرضاً بعد أن أصابتهم الرصاصات القاتلة.

أمسكت لارا بذراع كريم، وراحت تهزه بجنون.

ـ استيقظ! كريم، أرجوك!

لكن صوتاً مألوفاً صاح من خلفها:

ـ لارا! ابتعدي عنه! احمي نفسك!

التفتت.

كان والدها واقفاً بالقرب منها، وبيده مسدس يطلق منه الرصاص على المهاجمين، لكنه لم يستطع إكمال الإطلاق...

أصابته رصاصة في القلب، فسقط على الأرض.

صرخت:

ـ أبي!

حاولت التوجه إليه، لكن شقيقها لؤي أمسكها بقوة من ذراعها.

ـ لا! يجب أن نغادر الآن!

ـ أبي! كريم! لا أستطيع تركهما!

ـ لارا، اسمعيني!

كان وجه شقيقها شاحباً، وعيناه تتنقلان بين المسلحين المنتشرين في المكان.

قال بصوت مرتجف:

ـ لقد وجدونا...

ـ من؟ من هؤلاء؟!

ـ لقد جاؤوا من أجل أبي. لقد انتظروا سنوات طويلة حتى يعرفوا مكاننا.

ـ ماذا تقول؟!

أمسك كتفيها.

ـ لقد جاؤوا لينتقموا. لا أحد منهم سيتركنا على قيد الحياة!

نظرت إليه بعدم تصديق.

ـ لكن لماذا؟ ماذا فعل أبي؟!

لم يجبها.

دفعها باتجاه الشارع الجانبي.

ـ اهربي يا لارا! اذهبي ولا تنظري خلفك!

ـ لن أتركك!

ـ اذهبي!

كانت عيناه تملؤهما الدموع.

ـ أرجوك... لا تجعليني أخسرك أنت أيضاً.

ترددت لحظة.

ثم دفعت نفسها نحو الشارع.

أخذت تجري وسط الفوضى، بينما كان الرصاص يتطاير خلفها.

التفتت للحظة، فرأت شقيقها واقفاً في مكانه يحاول إبعاد أحد المسلحين عنها.

ثم سقط أرضاً، والدماء تسيل منه.

صرخت بأعلى صوتها:

ـ لاااا!

لكنها لم تتوقف.

واصلت الركض، والدموع تحجب الرؤية أمام عينيها.

كانت قدماها تغوصان في المياه المتجمعة على الطريق، وفستان عرسها الأبيض، الذي لم يعد أبيض، بل صار متسخاً بالطين والدماء...، بينما تتعالى خلفها أصوات الرجال.

ـ إنها هناك! لا تدعوها تهرب!

ـ يجب أن نمحو هذه العائلة من الوجود.

أسرعت أكثر.

انعطفت إلى زقاق ضيق، ثم إلى ممر آخر بين مبانٍ قديمة.

لم تعد تعرف أين تتجه.

كانت تسمع خطوات المطاردين تقترب.

وفجأة رأت مكبّ نفايات كبيرًا عند نهاية الزقاق.

لم تفكر.

قفزت إلى داخله، وانكمشت بين الأكياس والصناديق القديمة، محاولةً كتم أنفاسها.

بعد لحظات، وصل الرجال.

ـ أين ذهبت؟!

ـ لا بد أنها دخلت أحد المباني!

ـ تفرقوا! ابحثوا في كل مكان!

ابتعدت الخطوات تدريجيًا.

ظلت لارا مكانها.

كانت ترتجف بشدة،

ترتجف خوفًا...

وترتجف بردًا من الأمطار الغزيرة التي تتساقط عليها.

وكانت تحاول منع نفسها من البكاء بصوت مرتفع.

رفعت يدها إلى فمها، وأغمضت عينيها.

لم يبقَ لها أحد.

لا والدها.

لا شقيقها.

ولا كريم.

وفي تلك اللحظة، سقطت ورقة صغيرة على حجر بجانبها.

فتحت عينيها ببطء.

نظرت إلى الورقة.

لم يكن هناك أحد في الزقاق.

أخذتها بأصابع مرتجفة وفتحتها.

كانت الرسالة تحمل الكلمات ذاتها:

«أيها البائس... غدًا فرصتك لتغيير حياتك البائسة...

غدًا، في تمام الساعة السادسة صباحًا، كن في شارع 22...

(ملاحظة)

ضع بطاقتك أمام صدرك، فهي دليلك على قبول الدعوة».

وداخلها بطاقة سوداء،

مكتوب عليها:

لارا

المتسابقة رقم 9

حدقت في البطاقة، ثم رفعت رأسها.

ـ من أنتم؟!

لم يجبها أحد.

ظلت تنظر إلى الرقم.

ثم إلى الشارع الخالي.

كانت قد خسرت كل شيء في دقائق قليلة، ولم يعد لديها مكان تعود إليه.

أطبقت أصابعها على البطاقة.

وللمرة الأولى منذ بداية تلك الليلة، لم تكن تفكر في الهرب من مطارديها فحسب.

كانت تريد أن تعرف من هم.

ولماذا اختاروها...

ولماذا في هذا الوقت الحرج بالذات...

ثم ما إن عاد تفكيرها إلى المذبحة التي حصلت قبل قليل

حتى تجاهلت كل شيء...

وأجهشت بالبكاء...

٦

سليم

كان الليل يلف المدينة بستاره الأسود، والمطر يضرب أسطح المباني المرتفعة بكل عنف...

على سطح إحدى العمارات، كان رجل يرتدي ملابس سوداء بالكامل مختبئًا خلف حاجز إسمنتي، ويحمل بندقية قنص متطورة.

ثبت عينه على منظار البندقية.

في المبنى المقابل، ظهر رجل عند إحدى النوافذ.

حرك سليم فوهة البندقية ببطء، حتى استقرت على الهدف.

أخذ نفسًا عميقًا.

ثبت إصبعه على الزناد.

وفي اللحظة التي أوشك فيها على إطلاق النار، هبط طائر بالقرب منه.

التفت بعينيه للحظة.

ثم انطلقت الرصاصة.

لكنها أخطأت هدفها، واخترقت زجاج النافذة ومرت بجانب الرجل بدلًا من إصابته.

ـ تبًّا!

رفع رأسه بسرعة.

كان الهدف قد اختفى.

جاءه صوت من جهاز الاتصال الصغير المثبت في أذنه:

ـ سليم، ماذا حدث؟!

ـ لقد أفلت!

ـ كيف أفلت؟! كان أمامك مباشرة!

ـ قلت لك إنه أفلت! توقف عن الصراخ!

أغلق الاتصال، ثم جمع معداته بسرعة.

لم يكن أمامه وقت.

فقد بدأت أصوات السيارات تتعالى في الشارع أسفل المبنى.

نظر من حافة السطح.

كانت مجموعة من الرجال المسلحين تنتشر حول العمارة.

ـ اللعنة... لقد كشفوا مكاني، هؤلاء الأوغاد...

حمل حقيبته واندفع نحو باب السطح.

نزل السلالم بسرعة، لكنه كان يسمع أصوات الرجال تقترب.

ـ إنه هنا! الوغد سليم هنا... لقد رآه أحد الرجال... حاصروا المبنى!

تسارعت أنفاسه.

فتح أحد الأبواب الجانبية وخرج إلى ممر ضيق، ثم واصل الركض.

لكن رصاصة اخترقت الجدار بجانبه.

تراجع غريزيًا.

ثم شعر بألم حاد في ساقه.

تعثّر وسقط على ركبته.

نظر إلى قدمه.

أصابته رصاصة.

ضغط على أسنانه ونهض بصعوبة.

كان يعلم أن التوقف يعني نهايته.

دفع أحد الأبواب ودخل شقة سكنية قريبة.

دخل الشقة بعنف.

ووجد امرأة تقف أمامه، وقد اتسعت عيناها حين رأته يحمل سلاحًا.

فتحت فمها لتصرخ.

لكن سليم رفع مسدسه المركب عليه كاتم للصوت، وأطلق رصاصة مكتومة اخترقت رأسها.

سقطت المرأة أرضًا.

وقبل أن يتمكن من إغلاق الباب، ظهر طفل صغير عند مدخل الغرفة.

توقف الطفل مكانه.

ـ أمي...؟

نظر إليه سليم.

لم يتردد.

أطلق رصاصة أخرى أنهى بها حياة الطفل

..

ظل سليم واقفاً لثوانٍ، وأغلق الباب، ثم سمع صوت رجل يأتي من داخل الشقة.

ـ ماذا يحدث هنا؟!

خرج رجل من إحدى الغرف، فتفاجأ بالمشهد.

وصرخ:

ـ ماذا فعلت، أيها...

وقبل أن يتم كلامه،

رفع سليم سلاحه.

وعاجله برصاصتين أصابتا هدفهما بدقة.

وسقط الرجل جثة هامدة، مع ثقبين في رأسه...

ساد الهدوء للحظة.

أغلق سليم الباب خلفه، واتجه نحو النافذة ليتأكد من أن الرجال لم يلاحظوا دخوله إلى الشقة.

كان يتنفس بصعوبة بسبب جرح ساقه.

جلس في المطبخ، وأخرج بعض الأدوات من حقيبته، ثم بدأ يتفحص الإصابة ويحاول السيطرة على النزيف.

قال وهو يضغط على ساقه:

ـ تباً... إنها ليلة سيئة.

ألقى نظرة على ساعته.

ثم على سلاحه.

ـ إذا عرف الزعيم بما حدث، فلن يمنحني فرصة ثانية.

كان سليم رجلاً يعمل في الخفاء.

لم يكن شرطياً، ولا جندياً، ولا مجرماً عادياً.

كان قاتلاً محترفاً يعمل لحساب جهة إجرامية مجهولة، ينفذ الأوامر دون أن يسأل كثيراً عن أسبابها.

لكن فشله في مهمته الأخيرة قد يكون الخطأ الذي لن يغفره له رئيسه.

فالخطأ ممنوع في هذه المهنة.

وعقابه الموت...

مد يده إلى جيبه بحثاً عن هاتفه.

لكن أصابعه اصطدمت بورقة صغيرة لم يتذكر أنه وضعها هناك.

أخرجها.

حدق فيها باستغراب.

ـ ما هذا؟

فتحها.

كانت تحمل رسالة غريبة:

«أيها البائس... غداً فرصتك لتغيير حياتك البائسة...

غداً في تمام الساعة السادسة صباحاً، كن في شارع 22...

(ملاحظة)

ضع بطاقتك أمام صدرك، فهي دليلك على قبول الدعوة».

قلب الورقة.

وجد بطاقة سوداء مكتوبًا عليها:

سليم

المتسابق رقم 10

ظل ينظر إلى البطاقة دون أن يتحرك.

ثم ابتسم ابتسامة خفيفة.

ـ مسابقة؟

قلب البطاقة مرة أخرى.

ـ ومن الذي يظن أنه يستطيع دعوتي بهذه الطريقة؟

وضع البطاقة على الطاولة.

عاد إلى جرحه، ثم نظر إلى الساعة.

كان لديه الآن أمران يشغلان تفكيره.

الأول: كيف سيهرب من الزعيم بعد فشل مهمته؟

والثاني: من الشخص الذي تمكن من إدخال هذه الرسالة إلى جيبه دون أن يشعر؟

لربما هناك جهة أخرى تريد ضمَّه إليهم.

لربما هي فرصته في النجاة من بطش الزعيم...

تنهد وقال:

هاه، شارع ٢٢.

إن هذا مثير للاهتمام...

حقًا مثير للاهتمام...

٧

شارع 22

استيقظ يزن على صوت المطر الذي خفّ حتى صار رذاذًا.

فتح عينيه ببطء، وحدّق في السقف المتشقق لحظات، كأنه ينتظر أن يتذكر لماذا لا يزال هنا.

ثم وقعت عيناه على الطاولة.

علبة الدواء إلى جانب البطاقة السوداء.

بقي ينظر إلى العلبة طويلاً. لم يشعر هذه المرة أنها تحدّق فيه. كانت مجرد علبة صغيرة صامتة.

ثم نظر إلى البطاقة، وكانت تلمع بخفوت في ضوء الفجر الرمادي.

التقط العلبة، ووضعها في أعمق درج في الطاولة، وأغلقه. لم يعرف لماذا فعل ذلك، لكن يده لم ترتجف.

نظر إلى الساعة المعلقة.

الخامسة وعشرون دقيقة.

ـ لقد بقي أقل من ساعة واحدة...

غسل وجهه بماء بارد حتى اقشعرّ جلده، ونظر إلى وجهه في المرآة المشروخة. عينان غائرتان، وذقن لم يحلقه منذ أيام. ببساطة، صار شكله غير محتمل.

ارتدى معطفه القديم، ودسّ البطاقة في جيب صدره.

توقف عند الباب وألقى نظرة أخيرة على الغرفة الصغيرة.

السرير، والطاولة، والحياة التي حاول إنهاءها منذ ساعات.

وأغلق الباب خلفه...

في الخامسة والنصف كان في الشارع.

كانت المدينة تستيقظ ببطء. شاحنة خبز تمر في الظلام، وعامل نظافة يجرّ عربته، وبائع يرفع ستار دكانه.

لم ينتبه إليه أحد.

بدا كما كان دائماً: شاباً عادياً يمشي في صباح عادي.

غير أن قلبه كان يخفق بإيقاع لم يعرفه منذ شهور.

سار في الطريق وأخذ يقرأ لافتات الشوارع واحدة بعد أخرى.

شارع الجمال.

شارع المصانع.

شارع الأمل...

يا للسخرية.

وأخيراً، عند منعطف بعيد، رأى لافتة صدئة معلقة بسلك:

شارع ٢٢

توقف.

كان يعرف هذا الشارع، رغم أنه عاش في هذه المدينة سنوات، لكنه لم يزره قط.

كان شارعاً طويلاً مستقيماً، لا بيوت على جانبيه ولا محلات. جدران رمادية عالية، وأرض مبللة تعكس ضوءاً شاحباً لا يعرف مصدره.

دخل.

كانت خطواته تتردد بين الجدران.

وبعد دقائق وصل إلى منتصف الشارع، وهناك رأى أشخاصاً.

توقف.

كانوا يقفون على مسافات متساوية، كل واحد في مكان محدد، كأن أحداً رتّبهم هناك قبل وصوله بساعات.

اقترب أكثر.

وجد أن على أرض الشارع مربعات مرسومة، وبجانب كل مربع رقم.

وفي أحد جدران الشارع كانت هناك ساعة كبيرة تشير عقاربها إلى أن الساعة الآن قد صارت الخامسة وسبعًا وأربعين دقيقة.

وفي مقدمة الشارع وجد لوحة مكتوبًا عليها:

«الرجاء من جميع المتسابقين أن يقف كل واحد منهم أمام المربع الذي يحمل رقمه الموجود في البطاقة».

«والرجاء من كل متسابق أن يعلّق البطاقة أمامه كما ورد في التعليمات».

وقف يزن أمام مربعه المكتوب أمامه 22، ثم

واحد... اثنان... ثلاثة...

أخذ يعدّ الحاضرين بصمت.

كانوا ١٨ شخصًا.

وهو التاسع عشر.

كان لا يزال هناك ثلاثة مربعات خالية:

المربع رقم 10،

والمربع رقم 9،

وأيضًا المربع رقم 11.

تنهد وقال في نفسه: يبدو أنني لست آخر الواصلين...

أخرج البطاقة من جيبه، ثم علّقها أمامه، ثم رفع عينيه إلى الواقفين.

لم يكن يعرف أحدًا منهم، لكن بعض الوجوه بدت وكأنها تحمل قصصًا أثقل من أن تُروى.

أخذ يتفحصهم.

كان أول ما لفت انتباهه رجلٌ يقف عند الرقم 2، بدينٌ قصير القامة، يرتدي معطفًا بنيًا ضيقًا. كان يتنفس بصوت مسموع، ويمسح العرق عن جبينه رغم برودة الجو. ظل ينظر إلى الشارع من أوله إلى آخره، ثم يعود بعينيه إلى السماء، وكأنه ينتظر أن يظهر أحد ليشرح له ما يحدث.

وبالقرب منه، عند الرقم 4، وقفت امرأة سمراء البشرة، ذات شعر قصير، ترتدي معطفًا طويلًا بلون داكن. كانت تضم ذراعيها إلى صدرها، وتراقب الوجوه بحذر. لم تكن تبدو خائفة بقدر ما كانت غاضبة من وجودها في هذا المكان.

وعلى مسافة منها، وتحديدًا عند الرقم 20، وقف رجل أسود طويل القامة، عريض الصدر، يرتدي سترة رياضية رمادية. يبدو كأنه لاعب كرة سلة، من طوله وقوة ذراعيه. كان يضع يديه في جيبيه، ويحرك قدمه بتوتر واضح. نظر إلى يزن للحظة، ثم أشاح بوجهه.

كان هناك شاب نحيل يرتدي نظارة طبية، يحدق في بطاقته مرارًا، وكان يقف عند الرقم 15.

وبجواره رجل مسن يحمل حقيبة جلدية صغيرة، لا يتوقف عن النظر إلى ساعته.

أما شاب آخر، بملابس أنيقة وحذاء لامع، فكان يتحدث بانفعال مع امرأة تقف قربه.

كان الجميع غرباء.

لكنهم يشتركون في أمر واحد: كل واحد منهم يحمل بطاقة سوداء، وكل واحد جاء إلى هذا الشارع لأنه تلقى الرسالة نفسها.

ثم وقعت عينا يزن على امرأة تقف عند الرقم ٢١.

كانت تقف بجواره.

شاحبة الوجه، وعيناها حمراوان، وإن كانت ملامحها تدل على جمال واضح، لكن ملامحها تغيرت مع الظروف... كانت كأنها لم تنم منذ أيام. تقبض على بطاقتها بكلتا يديها، وتنظر إلى الأرض.

اقترب يزن خطوة.

قرأ الاسم على البطاقة:

رنا.

نظرت إليه رنا نظرة سريعة.

تلاقت عيناهما للحظة.

ثم أشاحت بوجهها.

قال يزن بصوت منخفض:

ـ صباح الخير.

لم تجبه في البداية.

ثم قالت:

ـ صباح الخير.

ـ هل تعرفين ما الذي يحدث هنا؟

نظرت إليه.

ـ لا أعرف أكثر مما تعرف.

ـ هل وصلتِ للتو؟

ـ منذ عشر دقائق تقريبًا.

سكت قليلًا، ثم قال:

ـ هل تعتقدين أنها مزحة؟

نظرت إلى البطاقة في يدها.

ـ لا أعرف... لكنني لا أظن أن أحدًا يمزح بهذه الطريقة.

لم يجد يزن ما يقوله.

واصل النظر إلى الواقفين.

وعند الطرف الآخر، وصلت فتاة جذبت أنظار كل الحاضرين.

كانت ترتدي فستان زفاف أبيض متلطخًا بالدماء والطين، وتبدو بحالة مريعة.

توقف بصر الجميع عندها.

كان الفستان متسخًا وممزقًا من أطرافه، وقد التصق بعضه بجسدها بسبب المطر. شعرها مبعثر، ووجهها شاحب، وعيناها معلقتان بنقطة بعيدة لا يراها أحد غيرها.

لم تكن تتحدث مع أي شخص.

كانت تقف وحدها، ممسكة ببطاقتها، وأخذت تمشي حتى وصلت إلى مربعها.

وكان مربعها هو المربع رقم 9.

وقفت فيه وأخذت تنظر إلى الأرض.

بدت كأنها خرجت للتو من كابوس طويل، ولم تستيقظ منه بعد.

وبينما كان المتسابقون ينظرون إليها باستغراب، وقد اعتراه الخوف من الدماء التي عليها لدى بعضهم،

حضر رجل آخر.

أخذ يمشي بخطوات ثابتة، وعيناه تدوران في المكان بحثًا عن شيء مريب، كما اعتاد في فترة عمله مع الشرطة.

كان هذا هو طارق.

ضخم، عريض الكتفين.

كان يرتدي قميصًا داكنًا ومعطفًا ثقيلًا. وقف مستقيمًا عند وصوله إلى مربعه، وأخرج بطاقته التي كانت تحمل الرقم 11، وقد شبك يديه خلف ظهره. لم يكن يتحرك كثيرًا، لكن عينيه كانتا تتحركان في كل اتجاه.

راقب مداخل الشارع، والجدران، والسماء، ثم الوجوه.

كان ينظر إلى المكان كما ينظر ضابط تحقيق إلى مسرح جريمة...

على بطاقته ظهر الاسم:

طارق.

وبينما كان الجميع يراقبون طارق، تحدث فجأة الشخص المتواجد في المربع رقم 1

وقال بسخرية واضحة:

انظروا من شرّفنا، اللواء طارق جبر بجلالته.

نظر إليه طارق بحزم وقال:

لا تتكلم معي يا كرم، يا حثالة.

اسمك ثقيل عليك.

انفجر كرم بالضحك وقال:

أنت الحثالة، لا تعرف كم أنا سعيد عندما طُردت من الشرطة، أيها الوغد.

رد طارق ببرود وقال:

لا أملك وقتًا لحثالة سكير مثلك. دعنا نرَ ماذا يحدث هنا، ثم سألقنك درسًا لن تنساه بعدها.

كان الجميع يراقبون ما حدث

أما يزن فقد تمتم في نفسه: مهما تكن هذه المسابقة، لا يجب أن أُورّط نفسي مع هذا اللواء المدعو طارق... إنه نقطة حمراء...

وأخذ ينظر إلى الرجل الذي يقف عند الرقم ١،

كان متكئاً على الجدار، بملابس متسخة وشعر مبعثر، ووجه يحمل آثار شجار حديث. بدا مرهقاً،

وكان يحاول الوقوف بثبات، لكنه كان يترنح قليلاً.

أخذ يزن يفكر: ولكن ما علاقة هذا السكير بضابط شرطة؟

قطع حبل أفكاره

قدوم آخر متسابق...

ففي الجهة المقابلة أتى رجل يرتدي الأسود بالكامل.

لم يكن في ملابسه أي لون آخر. معطف أسود، وقميص أسود، وحذاء أسود.

كان يمشي بهدوء غريب، وعرجة خفيفة؛ كان كأنه يتجنب تحميل إحدى ساقيه وزناً زائداً.

لم يتحدث مع أحد.

كانت عيناه تتحركان بين الوجوه، تتوقفان عند كل شخص لثوانٍ، ثم تنتقلان إلى غيره.

لم يكن ينظر إليهم بفضول عادي.

كان يدرسهم.

نظر إلى يزن.

تلاقت عيناهما.

شعر يزن بشيء غريب في تلك النظرة؛ برودة خالية من أي تعبير، وكأن الرجل لا يرى أمامه إنساناً، بل عينين قد فقدتا كل شعور...

ثم أدار الرجل وجهه.

قرأ يزن اسمه على البطاقة:

سليم.

لم يعرف لماذا شعر بعدم الارتياح تجاهه.

انتهى تفحّصه للمتسابقين واكتملت أعدادهم...

كان كل منهم ينظر حوله بترقّب

ولم يكن أحد يعرف لماذا اختير هو بالذات...

٨

الدقائق الأخيرة

مرت الدقائق ببطء.

كان الشارع ساكناً على نحو غير طبيعي. لا سيارات تمر، ولا أصوات منازل، ولا حتى نباح كلاب بعيد.

رفع الرجل البدين يده أخيراً، وقال بصوت مرتفع:

ـ هل يستطيع أحد أن يخبرني ماذا يحدث هنا؟

لم يجبه أحد.

تقدم خطوتين، ونظر إلى طارق.

ـ يا سيدي، هل تعرف شيئًا عن هذا الأمر؟

التفت طارق إليه.

ـ لا.

ـ أنت تبدو كأنك رجل مسؤول.

ـ وهل المسؤولية تعني أنني أعرف كل شيء؟

تراجع الرجل البدين قليلًا.

أما المرأة السمراء، فقد اقتربت من الشاب النحيل صاحب النظارة.

ـ هل توجد كاميرات هنا؟

رفع الشاب رأسه.

ـ لا أرى شيئًا.

ـ ربما يراقبوننا.

قال الرجل الأسود الطويل:

ـ ومن قال إنهم لا يراقبوننا الآن؟

التفت الجميع إليه.

أشار بيده إلى الجدران.

ـ هذا المكان لا يبدو طبيعيًا. لا توجد أي مداخل جانبية، ولا نوافذ، ولا حتى علامات تدل على أنه شارع عام.

نظر طارق إلى الجدران مرة أخرى.

كان محقًّا.

كل شيء بدا مصممًا بعناية.

قال طارق:

ـ دخلتم منه. لم...

أخرج يزن بطاقته مجددًا.

كان الرقم ٢٢ واضحًا.

تأمل الرقم، ثم رفع عينيه إلى الواقفين.

اثنان وعشرون شخصًا.

اثنان وعشرون رقمًا.

لقد اكتمل الجميع، فلماذا لم يحدث شيء؟

هل كانت خدعة سخيفة؟

نظر إلى الساعة؛ كانت الساعة تشير إلى

الخامسة وسبع وخمسين دقيقة.

سيصبر حتى السادسة، وإلا فسيغادر هذه التفاهة.

في تلك اللحظة، نظر طارق إلى سليم.

كان سليم يقف بجانبه وقد وضع يده داخل معطفه.

قال طارق بصوت حازم:

ـ أنت، أخرج يدك من جيبك.

رفع سليم عينيه ببطء.

ـ لماذا؟

ـ أريد أن أرى ما تخفيه.

ـ لا أخفي شيئاً.

ـ إذن أخرج يدك.

تبادلا النظرات لثوانٍ.

ثم أخرج سليم يده ببطء، فارغة.

قال ببرود:

ـ هل ارتحت الآن؟

لم يرد طارق.

لكن يزن لاحظ أن كليهما لم يُبعد عينيه عن الآخر.

كان هناك شيء بين الرجلين، شيء لم يبدأ بعد، لكنه بدا وكأنه ينتظر لحظته المناسبة.

عاد الصمت.

بدأ بعض الواقفين يتململون.

أخذت رنا تعض شفتها، وأعاد الرجل البدين مسح جبينه، بينما أخذ كرم يتثاءب. أما لارا، فظلت واقفة في مكانها، لا تتحرك ولا تنظر إلى أحد.

كان سليم يراقب السماء.

وطارق يراقب الجميع.

أما يزن، فكان يحاول أن يقنع نفسه بأنه يستطيع المغادرة متى أراد.

لكنه لم يكن يعلم أن القرار لم يعد بيده.

٩

السادسة تماماً

في الخامسة وتسع وخمسين دقيقة

ساد صمت مطبق.

لا ريح.

لا صوت.

حتى قطرات الماء التي كانت تتساقط من أطراف الجدران توقفت فجأة.

رفع يزن رأسه.

نظر إلى الساعة.

كان العقرب الكبير يقترب من الرقم اثني عشر.

السادسة.

تماماً.

وفجأة...

اهتزت الأرض تحت أقدامهم.

اهتزاز خفيف في البداية، ثم أصبح أقوى.

تساقط الماء من الجدران، وارتجّت الأسلاك المعلقة في الأعلى.

صرخت امرأة.

ـ ماذا يحدث؟!

رفع الجميع رؤوسهم.

ومن خلف الغيوم السوداء التي تغطي المدينة، بدأ شيء ضخم يهبط.

كان في البداية ظلاً هائلاً يغطي السماء.

ثم ظهر ضوء أزرق بارد يشق الغيوم كالسيف.

ثم انكشف الهيكل.

مركبة عملاقة

لم تكن تشبه أي طائرة أو آلة عرفها البشر.

كانت هائلة الحجم، ذات هيكل معدني أسود لامع، تنساب على سطحه خطوط فضية مضيئة. امتدت على جانبيها أجزاء دائرية ضخمة، بينما كان مركزها ينبض بضوء أزرق متقطع.

بدت بحجم حيّ كامل.

ارتفعت أصوات الصراخ.

ـ يا إلهي! ما هذا؟!

ـ ابتعدوا!

ـ هل هذه طائرة؟!

قال الرجل الأسود الطويل:

ـ مستحيل...

أما طارق، فظل ينظر إليها دون أن يتحرك.

للمرة الأولى، فقدت ملامحه صلابتها.

حتى سليم بدا عاجزاً عن إخفاء دهشته.

رفع كرم رأسه، وحدق في السماء، ثم تمتم:

ـ لا... لا يمكن أن أكون ثملاً إلى هذه الدرجة!

هبطت المركبة بصمت مرعب،

حتى صارت فوق رؤوسهم تماماً، دون أي صوت للمحركات. توقفت على ارتفاع قريب فوق الشارع، وغطى ظلها الأشخاص الاثنين والعشرين جميعاً.

بدأت بعض الأضواء تتحرك على سطحها.

ثم انفتحت فتحات صغيرة في أسفلها.

قال طارق بصوت مرتفع:

ـ ابتعدوا عن منتصف الشارع! تحركوا!

حاول بعض الواقفين الركض نحو الجدران، لكنهم لم يجدوا مكاناً يختبئون فيه.

وفي اللحظة التالية، انبعث من المركبة دخان كثيف أبيض يميل إلى الزرقة.

كان يهبط ببطء، ثم ينتشر بسرعة غير طبيعية، حتى غطى الشارع كله.

تراجع يزن غريزياً، ورفع ذراعه ليغطي فمه.

لكن الدخان كان أسرع.

شعر برائحة غريبة، حلوة وثقيلة.

ثم بدأ الدوار.

ـ ما هذا...؟

سمع صوت رنا من جانبه:

ـ لا أستطيع... التنفس...

التفت إليها.

كانت تتراجع بخطوات متعثرة، وعيناها متسعتين من الرعب.

_رنا؟

مد يده نحوها، لكنها سقطت قبل أن يصل إليها.

وفي مكان آخر، حاولت لارا الركض، لكن قدميها خانتاها. سقطت على الأرض، وانتشر فستانها الأبيض فوق الإسفلت المبلل.

أما طارق، فقد قاوم الدوار بشراسة. تقدم خطوة، ثم أخرى، محاولاً الوصول إلى أحد الواقفين.

ـ لا تستنشقوا الدخان! غطّوا...

لم يكمل.

انحنت ركبتاه، ثم سقط على جانبه.

حاول سليم الوصول إلى شيء تحت معطفه، لكن ذراعه فقدت قوتها قبل أن تصل إليه.

أما كرم، الذي كان يعاني أصلاً من آثار سهرته الطويلة، فقد انهار على الأرض دون مقاومة تُذكر.

وفي ثوانٍ، سقط بقية الأشخاص واحداً تلو الآخر.

كان يزن يحاول المقاومة، فلم يستطع التنفس.

شعر أن العالم يدور حوله.

حاول أن يتنفس، لكن الهواء أصبح ثقيلاً، والرؤية بدأت تتلاشى.

نظر حوله.

الأجساد على الأرض.

الدخان في كل مكان.

المركبة فوقهم.

ـ لا... ليس هكذا...

حاول التراجع، لكن ساقيه خانتاه.

سقط على ركبتيه، ثم على جانبه.

كانت عيناه تقاومان الإغلاق.

وفي آخر لحظة من وعيه، رأى شيئاً يتحرك أسفل المركبة.

انفتحت بوابة ضخمة في مركزها السفلي، وخرج منها ضوء أبيض مبهر.

ثم بدأ شيء غريب يحدث.

ارتفع جسد الرجل البدين عن الأرض.

لم يكن هناك أحد يحمله.

ارتفع ببطء، وكأن قوة غير مرئية تسحبه إلى الأعلى.

ثم ارتفع جسد المرأة السمراء.

وتبعها الرجل الأسود الطويل.

بدأت الأجساد تتصاعد واحداً تلو الآخر، دون أن تلمس الأرض.

رأى يزن جسد رنا يرتفع بجانبه، وشعرها يتطاير مع الهواء.

ثم رأى لارا، بفستانها الأبيض، تصعد نحو الضوء.

طارق...

كرم...

سليم...

جميعهم.

حاول يزن أن يرفع يده، لكن أصابعه لم تستجب.

شعر بشيء بارد يحيط بجسده، ثم بدأ هو الآخر يرتفع.

ابتعدت الأرض عنه.

رأى شارع ٢٢ يصغر شيئًا فشيئًا.

الجدران الرمادية، والأرقام البيضاء، والمدينة الغارقة في الصمت.

كل شيء أصبح بعيدًا.

أبعد مما تخيل.

لم يستطع رؤية شيء بوضوح.

كان آخر ما سمعه صوتًا عميقًا يشبه إغلاق باب معدني ضخم.

ثم...

اختفى كل شيء.

في الخارج، أغلقت المركبة بوابتها.

ارتفعت ببطء فوق المدينة، ثم اخترقت الغيوم.

واصلت صعودها.

تجاوزت طبقات السماء، وابتعدت عن الأرض شيئًا فشيئًا، حتى لم تعد المدينة سوى نقطة صغيرة في عالم واسع.

أما داخل المركبة، فقد كان اثنان وعشرون إنسانًا

متمددين بلا وعي.

لم يكن أحد منهم يعرف إلى أين يذهب.

ولم يكن أحد منهم يعلم أن الأرض أصبحت خلفه.

وأن ما ينتظرهم لم يكن رحلة عادية...

بل بداية شيء لم تعرف البشرية مثله من قبل...

يتبع...